سادساً ـ موالاة غير المسلمين

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥١-٥٣).

ينهى ـ تبارك وتعالى ـ عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله ـ قاتلهم الله ـ، ثم أخبرهم أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك، فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾. يقول السعدي في تفسيره: لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعوا إلى الكثير، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يكون العبد منهم. اهـ.

● **مداخلة:**

هدى الله هؤلاء الذين هرولوا للإقامة في إسرائيل بعد تطبيع العلاقات معها، حتى أطلق على تجمعاتهم وسط اليهود بحي المصريين!!

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك ونفاق وضعف إيمان، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ حيث فاتهم ما هو أصلح لأنفسهم وأنفع لهم في الدنيا والآخرة.

ولا يخفى على أحد حقد اليهود والنصارى على المسلمين، لما هم عليه من الحق، جعلهم لا يقر لهم قرار حتى يفسدوا على الناس أمر دينهم، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة:١٠٩).

يخبر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم.

وقال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (البقرة: ١٠٥).

يبين الله تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله من مشابهتهم للمؤمنين، ليقطع المودة بينهم وبينهم، ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبيه محمد ﷺ، حيث يقول: ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «ويجمع القرآن بين أهل الكتاب والمشركين في الكفر .. وكلاهما كافر

بالرسالة الأخيرة، فهما على قدم سواء من هذه الناحية، وكلاهما يضمر للمؤمنين الحقد والضغن، ولا يود لهم الخير، وأعظم ما يكرهونه للمؤمنين هو هذا الدين، هو أن يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم هذا القرآن ويحبوهم بهذه النعمة ويعهد إليهم بأمانة العقيدة في الأرض، وهي الأمانة الكبرى في الوجود» اهـ.

قال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ (البقرة: ١٢٠).

* في تفسير ابن كثير: وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضى الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، وقل لهم: إن هدى الله الذي بعثني به هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم...** ﴾ فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعدما علموا من

القرآن والسنة ـ عياذًا بالله من ذلك ـ، فإن الخطاب للرسول ﷺ والأمر للأمة. اهـ.

لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

وكما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٩).

■ **النهي عن السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم:**

روى أبو داود والترمذي في الضياء عن جرير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تراءي نارهما»**.

وفي رواية للطبراني عن جرير أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **«برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم»**.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للشيخ/ عبد الرحمن السعدي.

- (برئت الذمة): أي ذمة أهل الإسلام.

- (ممن): أي من مسلم (أقام مع المشركين) يعني الكفار، وخص المشركين لغلبتهم حينئذ. وتمام الحديث كما في الفردوس وغيره: قيل: لمَ يا رسول الله؟ قال: «لا تتراءى نارهما».

وفي رواية للبيهقي عن جرير أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة».

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»

- المقصود بالجماع: النكاح.

- (وسكن معه): أي في ديار الكفر (فإنه مثله) أي من بعض الوجوه، لأن الاقبال على عدو الله وموالاته توجب إعراضه عن الله، ومن أعرض عنه تولاه الشيطان ونقله إلى الكفران.

قال الزمخشري: وهذا أمر معقول، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان. وفيه إبرام والزام بالتصلب في

مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والتحرز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وفي الزهد لأحمد عن ابن دينار:

أوصى الله إلى نبي من الأنبياء: «قل لقومك لا تدخلوا مداخل أعدائي، ولا تلبسوا ملابس أعدائي، ولاتركبوا مراكب أعدائي، فتكونوا أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».

وفي رواية أخرى عن سمرة بن جندب مرفوعًا:

«لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم او جامعهم فليس منا».

- رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

فضل الأمة المحمدية

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، نصحًا ومحبة للخير ودعوة وتعليمًا وإرشادًا، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان.

ولهذا كان التفضيل من الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم.

ولأن المسلمين هم أهدى الناس طريقًا وأقومهم سبيلاً وأرشدهم سلوكًا في هذه الحياة، فقد أقامهم الله تعالى مقام الشهادة على الأمم كلها، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

obeikandl.com

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي: عدلاً خيارًا، وما عدا الوسط فالأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطًا في الشريعة لا تشديدات اليهود وأحبارهم، ولا تهاون النصارى.

وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم. ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئًا ولا يحرمون شيئًا، بل أباحوا ما دب ودرج.

فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ومن الطهارة أتمها. ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم،

فلذلك كانوا ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كاملين معتدلين، ليكونوا ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، والمقصود الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة.

ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة على ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهد الأنبياء بهذه الأمة وزكاها نبيها وهو أكمل الخلق ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

وفي تفسير ابن كثير: الوسط: العدل، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ في الحديث: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعي قومه فيقال: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟

فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، اهـ.

فكيف يتناسب مع ذلك أن يكون المسلمون أتباعًا لغيرهم من كل ناعق، يقلدونهم في عاداتهم ويحاكونهم في أعيادهم وتقاليدهم؟! ورسول الله ﷺ نهى المسلمين جميعًا أن يتلقوا عن أهل الكتاب.

فعن جابر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: **«أوفي شك يا ابن الخطاب؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو ان موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»**[1].

وعن عرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا:

---

(١) رواه أحمد، وابن أبي شيبة.

إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى إختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشيًا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما تقيد انقاد»[1].

«قد تركتم على البيضاء»، وفي رواية «على المحجة البيضاء»، وهي جادة الطريق. «ومن يعش ...» فيه من معجزاته ﷺ الإخبار بما سيكون بعده من كثرة الإختلاف وغلبة المنكر.

(١) رواه أحمد، وانفرد بإخراجه ابن ماجه واللفظ له.

سابعاً. الردة ومحاربة دين الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (محمد: ٣٢-٣٤).

يخبر تعالى بمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول ﷺ وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من علمه الذين عقبه بردته جناح بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات.

وهذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها من الكفر بالله وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلاً إليه، وعاندوا الرسول ﷺ وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن

جهل وغي وضلال، فإنهم ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب لا تقبل لعدم وجود شرطها.

ثم يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال الأوامر واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتابعة.

وقوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، يشمل النهي عن إبطالها بعد عملها بما يفسدها، من مَنٍ بها وإعجاب وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال ويحبط أجرها، ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من مفسداتها. فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها كلها داخلة في هذا ومنهي عنها، ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض وكراهة

قطع النفل، ومن غير موجب لذلك. وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها وإكمالها وإتمامها والإتيان بها على الوجه الذي تصلح به علمًا وعملاً.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (البقرة: ٢١٧).

الآيتان مقيدتان لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه، فقال هنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿وَصَدُّوا﴾ الخلق ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بتزهيدهم إياهم بالحق، ودعوتهم إلى الباطل وتزيينه، ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ لم يتوبوا منه، ﴿فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، لا بشفاعة ولا بغيرها؛ لأنه قد تحتم عليهم العقاب وفاتهم الثواب ووجب عليهم الخلود في النار، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم فإن الله يغفر لهم ويرحمهم ويدخلهم الجنة، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله والإقدام على معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة، ولم يغلقها عن أحد ما دام حيًا متمكنًا من التوبة. وسبحان الحليم الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعاقبهم ويرزقهم كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

روى سمويه والطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه فقد ذاق طعم الإيمان: من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومن كان أن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه، ومن كان يحب لله ويبغض لله»**.

ثامنًا. قتل الأنبياء وأئمة الهدى والدعاة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٢١-٢٢).

يقول ابن كثير: هذا ذم من الله لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا التي بلغتهم إياها الرسل استكبارًا عليهم وعنادًا لهم وتعاظمًا على الحق واستنكافًا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحق، وهذا هو غاية الكبر كما قال النبي ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»[1].

---

(١) بطر الحق: أنكره ولم يقبله. غمط فلان فلانًا: استصغره واحتقره.
- والحديث رواه مسلم عن ابن مسعود.

ـ عن عبيدة بن الجراح قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبيًا، او من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ...﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ».

● مداخلة:

ولا تزال الصفحات السوداء من تاريخ الجبابرة والظلمة تدون لهم ما تلذذوا به في قتل وتعذيب الأئمة والدعاة من الناس، ولا يزال القرآن يحدثنا عن هؤلاء ليكونوا عبرة لأسلافهم، إلا أن الكثيرين من هؤلاء (وسجلات التاريخ تزخر بهم) أبو إلا أن يكونوا جنودًا لإبليس، فيحاربوا كل

آمر بمعروف وناه عن المنكر، ويناصروا أئمة الكفر والضلال ودعاة الإجرام والباطل.

ولهذا قال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ فيهم: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: موجع مهين، هذا إلى جانب حبوط أعمالهم في الدنيا والآخرة ـ عصمنا الله منهم ـ.

وفي التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٨).

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى قال: ما عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»[(١)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[(٢)].

---

(١) الحديث رواه البخاري. (٢) رواه أبو داود.

«**غير الغالي**»: أي غير متجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، وفي حدود قراءته ومخارج حروفه (شرح المناوي). «**والجافي عنه**»: أي التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه.

ﻁ قال ابن الأثير: وقيد بقوله «**غير الغالي..**» إلخ؛ لأن من أخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور، والغلو: التشديد في الدين ومجاوزة الحد، والتجافي: البعد عنه.

ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا**»[(١)].

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ٩٣). يقول ابن كثير: وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الفرقان: ٦٨). والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًا، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[1]. وفي الحديث أيضًا: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»[2]. اهـ.

(١) رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجة عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي، والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

تاسعاً. التألي على الله

روى أبو داود في سننه ـ (كتاب الأدب باب النهي عن البغي)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، أحدهما مطيع والآخر مقصر، فما زال المطيع بالمقصر يؤنبه في ذات الله حتى قال له المقصر: خلني وربي، أكنت عليَّ رقيبًا، فقال المطيع: والله لا يغفر الله لك»، وفي رواية: «والله ليدخلنك الله النار، فقال الله للمطيع: أكنت بي عالمًا أم كنت على ما في يدي قادراً .. ادخل النار». قال أبو هريرة: فوالله إنه تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله، من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا اغفر لفلان، قد غفرت لفلان وأحبطت عملك».

ومعنى «متواخيين»: أي اتخذ كل واحد منهما الآخر أخًا له في الله تعالى، يتناصحان لعمل الخير، لذلك كان المجتهد في العبادة ينكر على الآخر الذنب. فيقول له المذنب: «خلني وربي» أي اتركني وما يفعل ربي بي، فإني أعتقد أن الله تعالى غفور رحيم، يغفر الذنوب جميعًا ورحمته وسعت كل شيء.

وفيه إشارة إلى أنه كان حسن الظن بالله تعالى، راجيًا منه أن يغفر له ذنوبه إذا تاب منها وندم عليها واستغفر ربه منها، ولذا قال: «خلني وربي» أي إن ظني بالله وبمغفرته عظيم. ثم قال له: «أكنت علي رقيبًا» من جهة الله تعالى، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الأنعام:١٠٧).

أي: رقيبًا مهيمنًا من قبلنا واعيًا لأعمالهم مأخوذًا بإجرامهم. فالرقيب على العباد هو الله تعالى وحده.

وهذا منه «أي المذنب هنا» حسن في العقيدة، تستأهل وتستدر مغفرة الله تعالي لمن اتصف بها، «فقال» له المجتهد في العبادة: «والله لا يغفر الله لك»، أو قال له في رواية أخرى: «والله لا يدخلك الله الجنة»، وهذه الكلمة كما قال أبو هريرة رضي الله عنه هي التي أوبقت وأهلكت دنياه وآخرته.

«اوبقت دنياه»: أي أحبطت أعماله الصالحة التي كان يجتهد فيها، «واوبقت آخرته»: فلم تبق لأعماله ثوابًا ولا أجرًا.

لذلك استحق دخول النار، ويحتمل أن المراد يعذب فيه عذاب عصاة المؤمنين تطهيرًا لهم من ذنوبهم التي ارتكبوها؛ لأن هذا اقترف إثمًا عظيمًا، وهو حكم جازمًا بأن الله تعالي لن يغفر لأخيه العاصي ولا يدخله الجنة. والله تعالى يقول: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢). أي: أهم الخزان لرحمة الله وبيدهم تدبيرها؟!

فالمغفرة والعذاب الوارد والوعد والوعيد بهما تحت مشيئة الله وحده، ليس لمخلوق أن يجزم بحصول أحدهما

لمخلوق لنفسه أو لغيره، وإلا كان تحكمًا منه في إرادة الله وعلى أفعاله ـ تبارك وتعالى ـ.

* فالمذنب الراجي لمغفرة الله أدخله الله الجنة، والطائع الذي تألى على الله دخل النار.

ومن كتاب (الرقاق ـ باب حفظ اللسان)، ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار ابعد مما بين المشرق**». وفي رواية أخرى: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم**».

* والشاهد من هذا الحديث: قوله ﷺ: «**لا يلقي لها بالاً**»، أي أنه جاهل بما توجبه هذه الكلمة، ومع ذلك استحق ما يتعلق بها من وعيد، فجهله بما توجبه هذه الكلمة لم يكن له عذرًا منجيًا من الوعيد المستحق عليها.

* قال المناوي: «لا يلقي لها بالاً»: أي لا يتأملها ولا يلتفت إليها ولا يعتد بها، بل يظنها قليلة وهي عند الله عظيمة، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥)، وهذا حث على التدبر والتفكر عند التكلم، فإن الشيطان يزين الشر في صورة الخير .. نعوذ بالله من الزلل في القول والعقيدة والعمل.

- وعن عياض رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»[1].

قال أهل اللغة: «البغي»: التعدي والاستطالة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الرجل: هلك الناس، فهو أهلكهم»[2].

---

(١)، (٢) رواهما مسلم.

وذلك النهي لمن قال ذلك عُجبًا بنفسه وتصاغرًا للناس وارتفاعًا عليهم، فهذا هو الحرام، وأما من قاله لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم، وقاله تحزنًا عليهم وعلى الدين فلا بأس به، هكذا فسره العلماء وفصَّلوه، وممن قاله من الأئمة الأعلام: مالك بن أنس، والخطابي، والحميدي، وآخرون.

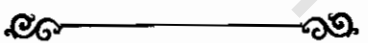

obeikandl.com